مدخل إلى التربية الإسلامية

إعداد الدكتور

عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر الغامدي

أستاذ أصول التربية المساعد

كلية التربية - جامعة الملك سعود

الرياض ١٤١٨هـ

ⓒ دار الخريجي للنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي ، عبدالرحمن بن عبدالخالق بن حجر

مدخل الى التربية الاسلامية ـ الرياض.

...ص ؛ ..سم

ردمك ٦-٩٧-٦٥٩-٩٩٦٠

١ - التربية الاسلامية أ - العنوان

ديوي ٣٧٧،١ ١٨/١٦٦٤

رقم الإيداع : ١٨/١٦٦٤

ردمك : ٦-٩٧-٦٥٩-٩٩٦٠

تحـــذير

حقوق الطبع محفوظة للناشر، ولا يجوز تصوير أو نشر أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب إلا بموافقة كتابية من الناشر، وكل من يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية من جانب الناشر.

الناشر

دار الخريجي للنشر والتوزيع

الرياض ـ العليا ـ طريق مكة المكرمة

ت ٤٦٤٦٢٥٨ ـ ٤٦٤٤٣٨٤ ـ فاكس ٤٦٤٩٩٢٨

ص.ب ١٧٧٣٢ ـ الرياض ١١٤٩٤

جدة ـ شارع الأمير ماجد

ت ٦٧٦٠٠٦٨ ـ فاكس ٦٧٦٠٠٥١

ص.ب ٥٠٦١٣ ـ جدة ٢١٥٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

احمد الله الذي اتاح لي تدريس مقرر : «أصول التربية الإسلامية» في جامعة الملك سعود مدة سبعة عشر عاماً، كما احمده سبحانه على أن هداني إلى الدراسات العليا في هذا الميدان بعد ان كان ميلي الشديد ودراستي في البكالوريوس تخصص رياضيات . وكنت أظن في بداية حياتي العلمية والعملية أن ميدان التربية الإسلامية محدودة مواضيعه ضيّقة مجالاته، ولكن سرعان ما تغيرت هذه النظرة مع القراءة والتجربة، فازداد هذا الميدان اتساعاً امام نظري، وايقنت أن كل موضوع من موضوعاته المتعددة يحتاج إلى عشرات الباحثين، وان الجهود المشكورة التي بذلت في بحوث التربية الإسلامية، لاتزال وستظل عاجزة عن إيفاء هذه التربية العظيمة حقها من البحث والتنقيب والإلمام بجميع جوانبها . ولهذا لم أجرأ ان اسمي هذا الكتاب «التربية الإسلامية» ، لأن هذه التسمية أعلى بكثير من أن تطلق على عمل اي كاتب في التربية . واستحسنت أن يكون عنوانه «مدخل إلى التربية الإسلامية» .

وما هذا العمل المتواضع إلا من اجل الدخول بطالب العلم إلى ميدان التربية الإسلامية الفسيح ليطل إطلالة سريعة على معالمه، ومن ثم وبإذن الله يتنافس مع المتنافسين في ميدانه .

وقد عمدت في هذا الكتاب ما استطعت أن أتبسط في القول، وأن أتجنب الإسهاب، وان أورد الشواهد من الكتاب والسنة واقوال علماء المسلمين، وان اكشف عن المزيد من المبادئ والأفكار التربوية وتطورها في تراثنا الإسلامي ، وفي الثقافات الأخرى، وعقدت المقارنات المفيدة بين التربية الإسلامية وغيرها من التربيات كلما دعت الحاجة، ليكون شبابنا الجامعي ومربو أجيالنا على بيّنة من حقيقة التربية الإسلامية وميزاتها .

كما بحثت في هذا الكتاب المواضيع المفيدة التي تخدم مقرر «أصول التربية الإسلامية» بعد أخذ المشورة من بعض زملائي أعضاء هيئة التدريس . وإنني لأرجو الله ان يعم النفع بما قدمت من جهد متواضع، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الرياض في : ١٥/٤/١٤١٨هـ

د / عبد الرحمن بن عبد الخالق حجر الغامدي

فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٠
الفصل الأول: مفهوم التربية وأهميتها وأهدافها ومصادرها	١
أولاً - مفهوم التربية	٢
ثانياً - أهمية التربية	١٠
ثالثاً - أهداف التربية	١٣
رابعاً - مصادر التربية الإسلامية	٢٣
- مراجع الفصل الأول	٣٤
الفصل الثاني : مسار الفكر التربوي في المجتمعات الأجنبية	٣٩
أولاً - المرحلة البدائية	٤١
ثانياً - مرحلة الحضارات القديمة	٤١
ثالثاً - مرحلة حضارة الإغريق القديمة	٤٦
رابعاً - مرحلة الحضارة الرومانية	٥٠
خامساً - التربية في العصور الوسطى	٥٣
سادساً - التربية في العصور الحديثة	٥٦
- مراجع الفصل الثاني	٧١
الفصل الثالث : مسار الفكر التربوي في المجتمعات العربية	٧٤
أولاً - الفكر التربوي عند العرب قبل الإسلام	٧٥
ثانياً - الفكر التربوي في عهد النبوة (من البعثة - ١١هـ)...	٧٨

ثالثاً - الفكر التربوي في عهد الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـ).. ٨٦
رابعاً - الفكر التربوي في عهد الأمويين (٤١-١٣٢هـ) ٩٢
خامساً - الفكر التربوي في عهد العباسيين (١٣٢-٦٥٦هـ)..... ٩٨
سادساً - الفكر التربوي في عصر الانحدار
(٦٥٦-القرن الثالث عشر الهجري) ١٢٩
سابعاً - الفكر التربوي في عصر النهضة (منذ فجر القرن
الثالث عشر الهجري - حتى العصر الحاضر) ١٤٢
- مراجع الفصل الثالث ١٥٥

الفصل الرابع : خصائص التربية الإسلامية وأساليبها ١٦٥
أولاً - خصائص التربية الإسلامية ١٦٦
ثانياً - أساليب التربية الإسلامية ١٨٤
- مراجع الفصل الرابع ٢٠٧

الفصل الخامس : جوانب التربية الإسلامية ٢١١
أولاً - الجانب الإيماني ٢١٣
ثانياً - الجانب الروحي ٢١٨
ثالثاً - الجانب العقلي ٢٢٣
رابعاً - الجانب الأخلاقي ٢٢٧
خامساً - الجانب الاجتماعي ٢٣٠
سادساً - الجانب النفسي ٢٣٤
سابعاً - الجانب الصحي ٢٤٠
- مراجع الفصل الخامس ٢٤٣

الفصل الأول

مفهوم التربية

وأهميتها وأهدافها ومصادرها

الفصل الأول

مفهوم التربية وأهميتها وأهدافها ومصادرها

أولاً ـ مفهوم التربية :

التربية في اللغة:

إنه لمن المفيد في كثير من الأحيان الوقوف على المدلول اللغوي لبعض المفردات تيسيراً لمعناها الاصطلاحي.

والتربية في اللغة تعني التنمية، يقال ؛ رباه : نماه، وربّى فلانا : غذاه ونشّأه، وربّى فلاناً : نمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية (١).

وتتلخص الأصول اللغوية لكلمة تربية في ثلاثة أصول هي :

الأصل الأول : ربا، يربو : بمعنى نما، ينمو.

الأصل الثاني : رَبِيَ، يَرْبَى: بمعنى نشأ وترعرع.

الأصل الثالث : رَبَّ .. يَرُبُّ .. بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه(٢).

وبالرجوع إلى الأصلين اللغويين - الأول والثاني - لكلمة تربية يتبين أن تلك الكلمة تأخذ المعاني التالية.

الزيادة والنمو، والنشأة والترعرع، والتغذية.

أما في الأصل اللغوي الثالث فإنها تأخذ المعاني التالية :

السياسة، وإصلاح الشيء ورعايته، وحفظ الشيء، وحسن القيام على الطفل، والجمع والنمو، والتعليم، والتكفل بأمور الصغير.

وقد استنبط أحد الباحثين من هذه الأصول اللغوية أن التربية تتكون من العناصر التالية.

أولها : المحافظة على فطرة الناشيء ورعايتها.

ثانيها: تنمية مواهبه واستعداداته كلها، وهي كثيرة متنوعة.
وثالثها: توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب كلها نحو صلاحها اللائق بها.
ورابعها : التدرج في هذه العملية (٣).

التربية في الإصطلاح :

يرى كثيرون من رجال التربية والتعليم أن مصطلح «التربية» لا يخضع لتعريف محدد، بسبب تعقد العملية التربوية من جانب، وتأثرها بالعادات والتقاليد والقيم والأديان والأعراف والأهداف من جانب آخر، بالإضافة إلى أنها عملية متطورة متغيرة بتغير الزمان والمكان، ويمكن القول بأن التربية تدخل في عداد المسائل الحيّة لأنها تتسم بخاصية النمو.

كما يرجع ذلك الاختلاف أيضاً في النظرة إلى الإنسان، فكل فيلسوف أو مربٍّ ينظر إليه من وجهة معينة، كما أن خصائص الإنسان وطبيعته تختلف عن خصائص وطبيعة الكائنات الأخرى، بل إن كل فرد يختلف في كثير من الخصائص والصفات عن الآخرين بالرغم من وجود كثير من الخصائص والصفات المشتركة بين بني الإنسان، كما أن الفرد نفسه يختلف بين فترة وأخرى في كثير من خصائصه وصفاته.

لهذا يقول أحد الباحثين « ففي الواقع لا يوجد شيء مثل الإنسان نفسه... فالإنسان في الحقيقة قد صنع صنعاً عجيباً مخيفاً »(٤).

من هذا نخلص إلى أنه من الصعوبة الاتفاق على مفهوم موحد للتربية، وبالتالي الاتفاق على تربية موحدة تكون صالحة لجميع الأمم والمجتمعات، وفي كل الأزمنة وتحت كل الأنظمة ؛ لأن مفهوم التربية يتأثر بالعامل الفلسفي والاجتماعي والديني والعلمي والثقافي، الذي يسود مجتمع واضعي تلك المفاهيم، وتجدر الإشارة إلى ما ذكره أبو الحسن الندوي من أنه : «لا يخفى على المطّلع الجيد أن نظام التعليم روح وضمير، وأن روح نظام التعليم وضميره، إنما هو ظل لعقائد واضعيه

ونفسيتهم وغايتهم من العلم ودراسة الكون ووجهة النظر إلى الحياة ومظهر لأخلاقهم»(٥).

ولهذا سيجد القارىء عدداً من تعاريف التربية، ويُعد الإلمام ببعض منها في غاية الأهمية، فتحديد مفهوم التربية هو مفتاح الوصول إلى علم التربية، لما يترتب عليه من تحديد أهداف التربية وجوانبها وأساليبها ووسائلها، وغير ذلك من عمليات التربية، وفيما يلي بعض من تلك التعاريف.

أ- تعاريف التربية لدى بعض علماء الغرب:

(١) أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) - وهو فيلسوف يوناني- «التربية هي أن تضفي على الجسم والنفس كل جمال وكمال ممكن لهما»(٦).

(٢) أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) - وهو فيلسوف يوناني-«التربية هي إعداد العقل للتعليم كما تعد الأرض للبذرة»(٧).

(٣) كوينتليان (٣٥-٩٥م) - وهو فيلسوف روماني- «التربية هي إعداد المواطن الصالح الروماني الذي يستطيع الاضطلاع بمهام الحياة العملية»(٨).

(٤) جون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤م) - وهو فيلسوف انجليزي، ويعد من أبرز ممثلي نزعة التهذيب الشكلي- «التربية عملية تهذيب أخلاقي أكثر منها تدريب عملي»(٩).

(٥) جون هنري بستالوتزي (١٧٤٦-١٨٢٧م) - وهو مربٍّ سويسري من أبرز أنصار الحركة النفسية «التربية هي إعداد بني الإنسان للقيام بواجباتهم المختلفة في الحياة، وهي تنمية جميع قوى الإنسان نمواً طبيعياً تقدمياً منسجماً»(١٠).

(٦) فردريك فروبل (١٧٨٢ -١٨٥٢م)- وهو مربٍّ ألماني صاحب الحركة الفروبلية-« إن التربية عملية نمو وتطور ورقي نحو السمو والكمال الروحي أو الوحدة المقدسة»(١١).

(٧) هربارت سبنسر (١٨٢٠ -١٩٠٣م) - وهو مربٍّ إنجليزي صاحب الحركة الهربارتية- «التربية هي إعداد المرء لأن يحيا حياة كاملة»(١٢).

ويقول في موطن آخر : «التربية هي كل ما نقوم به من أجل أنفسنا، وكل ما يقوم به الآخرون من أجلنا بغية التقرب من كمال طبيعتنا »(١٣).

(٨) جون ديوي (١٨٥٩ - ١٩٥٢م) - وهو فيلسوف ومربٌ أمريكي من رواد الحركة البراجماتية: «إن التربية هي الحياة نفسها وليست مجرد إعداد للحياة، وبأنها عملية تعلّم، وعملية بناء وتجديد مستمرين للخبرة ، وعملية اجتماعية»(١٤).

(٩) أوبير- وهو مربٌ فرنسي- «التربية جملة الأفعال والآثار التي يُحْدِثُها بإرادته كائن إنساني في كائن إنساني آخر، وفي الغالب راشد في صغير، والتي تتجه نحو غاية قوامها أن تكوّن لدى الكائن الصغير استعدادات منوعة تقابل الغايات التي يعد لها حين يبلغ طور النضج»(١٥).

ب) تعاريف التربية الإسلامية :

لقد وردت كلمة تربية في موضعين من القرآن الكريم، هما قوله تعالى : ﴿ وقل ربٌ ارحمهما كما ربّياني صغيراً﴾ (الإسراء: ٢٤)، وقال تعالى : ﴿ قال ألم نربّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ (الشعراء : ١٨) . فالتربية في الآية الأولى تشير إلى مسؤولية الوالدين في الإعداد والرعاية في مرحلة الطفولة. أما في الآية الثانية فيمتنّ فيها فرعون على سيدنا موسى عليه السلام بأنه ربّاه وهو صغير ولم يقتله ضمن من قتل من الأطفال.

وقد ورد في القرآن الكريم عدة كلمات تقترب كثيراً مما تعنيه كلمة «تربية». ومن بينها ما يلي:

(١) كلمة «تزكية» ، كما في قوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة :٢). وتشتمل كلمة يزكيهم على فعل المعروف واجتناب المنكر، وتطهير النفس وتنميتها.

(٢) كلمة «تعليم»، وقد ورد ذكرها في الآية السابقة. وكلمة «يعلمهم» تشتمل على

الجانب التعليمي ، وكل أنواع المعرفة، وكافة مجالات العلم التي تتصل بكل ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، وفي معاشهم ومعادهم، وفي أجسادهم وأرواحهم.

(٣) كلمة «هدى»، كما في قوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ (الأنبياء:٧٣). أي يرشدون إلى الحق الذي أوحينا إليه.

كما ورد في السنة أيضاً عدة كلمات تقترب في معناها من كلمة «تربية»، ومن بينها ما يلي:

١- كلمة «تأديب»، كما في قوله ﷺ : «ثلاثة يُؤْتَوْنَ أجرهم مرّتين الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها، ويؤدبها فيحسن أدبها، ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران...»(١٦).

٢- كلمة «رعاية »، كما في قوله ﷺ : «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راعٍ ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته » (١٧).

ولو تتبعنا معنى كلمة «رعاية» في اللغة العربية، لوجدنا لها عدة معانٍ (١٨)منها:

(أ) الحفظ والحماية. (ب) التقويم.

(جـ) الائتمان (د) الملاحظة.

(هـ) المراقبة (و) مراعاة الحقوق.

(ز) التكفل بأمور الغير .

ولكلمة «رعاية » معانٍ عدة في مجال التربية والتعليم ، فهي تعني «المسؤولية والإشراف والحرص والرقابة والمساعدة والإرشاد والتوجيه ومراقبة الطفل والسهر عليه، وقد تعني التنشئة والتربية والتعليم» (١٩). أي أن الرعاية تتضمن عدداً من الدلائل التربوية، وتشمل معظم جوانب التربية، وتجعل السنة النبوية الرعاية مسؤولية تربوية يحاسب عليها من أنيطت به مهامها.

(٣) كلمتا (الوصاية والولاية)، وهما تعنيان أن يقوم أقرب الناس إلى الصغير أو العاجز أو السفيه أو اليتيم الذي لم يبلغ الرشد أو المجنون أو المعتوه بتدبير شئونه، ورعاية حقوقه إلى حين يبلغ الرشد أو الشفاء، كما ورد في حديث عائشة

رضي الله عنها، قالت : «ومن كان غنياً فليستعفف، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف أنزلت في والي اليتيم الذي يقيم عليه، ويُصْلح في ماله إن كان فقيراً أكل منه بالمعروف»(٢٠).

وقد عَرف علماء المسلمين الأوائل وفلاسفتهم كثيراً من معاني مصطلح التربية؛ مثل التأديب والتهذيب والتعليم والتطهير، وقد حوت عناوين مؤلفاتهم بعضاً من تلك المعاني، منها على سبيل المثال كتاب «آداب المعلمين» لابن سحنون، وكتاب «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين» للقابسي، وكتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر الاندلسي، وكتاب « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » لابن مسكويه.

ولهذا فقد أخطأ من يقول إن ثقافة الإسلام لم تعرف في تاريخها علماً يسمى علم التربية الإسلامية، أو أن مصطلح التربية الإسلامية مصطلح حديث. نعم قد لا يكون بعض المربين المسلمين السابقين استخدموا لفظ التربية الإسلامية، ولكنهم استخدموا مصطلحات تأخذ نفس المفهوم، والعبرة في ذلك بالحقيقة والجوهر، لا باللفظ أو المظهر. والمتصفح تلك المؤلفات السابقة وما شاكلها يجد آراء تربوية إسلامية قيمة، وقد كشفت عدد من الدراسات الحديثة بعضاً من تلك الآراء التربوية.

فالمجتمع الإسلامي عَرفَ التربية الإسلامية منذ ظهور الدعوة الإسلامية على يد مصلح هذه الأمة ومربيها محمد ﷺ ، إذن فهناك تربية إسلامية ، وهناك تعليم إسلامي . وقد ذهب عدد من علماء المسلمين المعاصرين إلى تقديم مفاهيم للتربية الإسلامية، وهي متقاربة المعنى، لأن المصدر واحد ، والغاية واحدة. فالتربية الإسلامية تبدأ من أسس إسلامية ثابتة، وتستهدف تربية إنسان عابد بكل ما تعنيه كلمة العبادة. ومن بين تلك التعاريف ما يأتي:

(١) التربية الإسلامية هي : «تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادىء والقيم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العلمية، يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام»(٢١).

(٢) التربية الإسلامية هي : «علم إعداد الإنسان المسلم لحياتي الدنيا والآخرة إعداداً كاملاً من الناحية الصحية والعقلية والعلمية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والإراديّة والابداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المباديء والقيم التي جاء بها الإسلام ، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بيّنها »(٢٢).

الفرق بين التربية والتعليم:

نجد في كثير من الكتابات التربوية التلازم بين مصطلحي التربية والتعليم، وقد يتبادر للقاريء في بعض الأحيان أن الكلمتين مترادفتان، وتأخذان مفهوماً واحداً، ويظن البعض أن التربية هي نفسها التعليم أو العكس. والحقيقة – كما أشار إلى ذلك عدد من الباحثين (٢٣)– أنه لا يقصد بالتعليم ما يفهم من كلمة تربية، وأنهما مختلفان في بعض الوجوه، وفيما يلي ايضاح ذلك :

(١) التعليم يتناول تحصيل المعرفة وزيادتها لدى الناشيء، ويتناول غالباً الناحية العقلية، التي تمكن الفرد من اكتساب المعارف والمعلومات، أما التربية فهي تتناول ما هو أشمل وأعمق من تنمية الجانب المعرفي أو العقلي، فهي عبارة عن عملية تنمية قوى المرء المختلفة، وتنمية جميع جوانب شخصيته.

(٢) التعليم يعد الإنسان إلى مهنة ما، أو صنعة معينة، أما التربية فيه تعد الإنسان للحياة جميعها (لحياتي الدنيا والآخرة).

(٣) التعليم قد يقف عند حد معين، أو مرحلة معينة. أما التربية فهي عملية مستمرة من المهد إلى اللحد.

(٤) التربية تهدف دوماً لغرضٍ سامٍ يرضى عنه المجتمع. أما التعليم فقد يكون أحياناً لأغراض غير سامية، كتعليم السحر مثلاً.

(٥) تعتبر التربية غاية ، والتعليم وسيلة من وسائل التربية، أو وسيلة لاكتساب مهنة ما، وكل عمل تعليمي جيد، لابد أن يكون له هدف تربوي جيد.

العلاقة بين التربية والتعليم:

مما سبق يتضح أن كلمة تربية لا تعني كلمة تعليم، ولكن هناك علاقة قوية بينهما، فهما كلمتان متآزرتان متكاملتان، فالتعليم المثالي إنما هو تربية، ولكنه - في الاصطلاح- يظل مرتبطاً بموضوع ما، والتربية كما سبق تتناول شخصية الإنسان وكيانه؛ أي أن التربية تصوغ الإنسان صياغة جسمية وعقلية وعقديّة ونفسية وخلقية ... الخ، ليصبح وعاءً صالحاً وحافظاً للمادة العلمية، وعن طريق التربية الجيدة يستطيع الفرد أن يحول هذا العلم إلى شيء نافع، وعمل منتج. فالتربية هي مدخل التعليم وأساسه، ولهذا لا يمكن لإحدى العمليتين أن تظل وتستمر في غياب الأخرى.

ومن هنا لزم التأكيد على أهمية الربط المحكم بين التربية والتعليم ، وأن الفصل بينهما له أضراره البالغة على الأفراد والمجتمعات، يقول أحد الباحثين : «إن الفصل بين التربية والتعليم هو الذي أنتج ومازال ينتج هذه النماذج من العلماء العباقرة النوابغ الذين ساهموا ويساهمون بعلمهم وعبقريتهم ونبوغهم في دمار الأرض وكيان الإنسان، وتكريس تعاسته في المجتمع . فما قيمة هذا العالم المشار إليه بالبنان إذا كان كاذباً خؤوناً يستمريء الباطل ويحسن التمرغ في وحل الرذيلة»(٢٤).

نعم لقد شهد العالم تقدماً مذهلاً في كافة العلوم والمعارف، وقد استطاع هذا العلم أن يحقق للبشرية تقدماً في الكشوف، وإنتاجاً في المصانع، ومتاعاً في الحياة. ولكنه عجز كل العجز عن توفير السكينة للنفوس، أو إشاعة الطمأنينة والرحمة والتعاطف في المجتمع، فأصبحت شهوة عارمة لا ترتوي ، وصراعاً مسعوراً بين الأمم والأفراد لا يهدأ(٢٥).

إن واقعنا التربوي والتعليمي يشهد اليوم انفصاماً خطيراً بين التربية والتعليم، والشاهد على ذلك أن معظم المؤسسات التربوية تهتم بالجانب التعليمي، ولم تعط الجانب التربوي ما يستحقه من الأهمية، وقد لا تكون تنمية ذلك الجانب

على الوجه السليم، فكل ما في الأمر أنها تهتم بنقل المعارف والمعلومات التي يحويها الكتاب المدرسي إلى أذهان التلاميذ، الأمر الذي جعل الأعداد الهائلة التي خرجتها مؤسساتنا التعليمية ذات شخصية ناقصة، لاتتناسب مع طموحات الأمة الإسلامية، بل إن معظم المجتمعات تعاني من الفساد والتحلل ، وكثرة البطالة، وارتفاع نسبة الجرائم، على الرغم من تطور مناهج التعليم، وازدياد المعاهد والمؤسسات التعليمية، وسيظل الوضع أسوأ ما لم نتنبه إلى هذه القضية ونعمل بتعاليم الإسلام التربوية التي ربطت بين التربية والتعليم، كما في قوله تعالى :﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (آل عمران :١٦٤)، وتشتمل كلمة «يزكيهم» على فعل المعروف واجتناب المنكر، وتطهير النفس وتنميتها، وكلمة « يعلمهم» مشتملة على الجانب التعليمي. والتعليم الذي لا يؤدي إلى تهذيب سلوك المتعلّم، وتزكية نفسه، وتثقيف أخلاقه، يكون صاحبه في نظر الإسلام ناقصاً. وهذا ما ذكره الله عن اليهود في قوله تعالى : ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ (الجمعة : ٥). فلا خير في علم لا يكون وسيلة لتطوير شخصية الإنسان وتكاملها، وتهذيب سلوكه وتوجيه اتجاهاته نحو الصلاح. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى أن العالم الفاجر أشد ضرراً على الأمّة من غيره، كما في قوله : « إلا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء » (٢٦).

ثانياً ـ أهمية التربية :

يعد موضوع التربية والتعليم من أهم الموضوعات التي اهتمت بها الأمم والشعوب عبر تاريخها. فقد عرفها الإنسان منذ وجوده على الأرض، واستمرت تلازم حياته حتى يومنا الحاضر، وأخذت أهميتها في التزايد كلّما أرتقى الإنسان إلى سلّم الحضارة والرقي. فالتربية عملية متطورة ونامية مع تطور الإنسان ونموه، فبالتربية والتعليم تتقدّم الأمم، وتتطور المجتمعات، وتزدهر الحضارات،

وتعلو الثقافات. وبغيابها تتأخر الأمم، وتنهار المجتمعات، وتسقط الحضارات وتندثر الثقافات. يقول أحد الباحثين : « إن من أول الأمور التي تحتاج إلى مراجعة حين تصاب الأمّة بالنكبات، أو حين تكثر في طريق تقدّمها العقبات والعثرات ، نظامها التربوي التعليمي »(٢٧).

وأصبح من المسلّم به في وقتنا الحاضر ردُّ سرّ التقدّم أو التخلف في أي مجتمع من المجتمعات إلى عملية التربية والتعليم، فعندما انتصرت ألمانيا في الحرب السبعينية، قال قائل الماني : لقد انتصر معلّم المدرسة الألمانية. وعندما انهزمت فرنسا في الحرب العالمية الثانية، قال قائل فرنسي : إن التربية الفرنسية متخلفة، وعندما غزا الروس الفضاء بإطلاقهم القمر الصناعي الأول، قال قائل أمريكي : ماذا دها نظامنا التربوي والتعليمي؟(٢٨).

وكما أن التربية مهمة للجماعات ، فإنها للفرد أهم. ويكفينا في هذه العجالة أن نذكر ما قاله محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م) : إن التربية هي البلسم الشافي لكل علّة، واعتبر فقر العقول والتربية أشد ضروب الفقر، وفي نظره أن الإنسان إذا فقد التربية فقد كل شيء، وأن الإنسان لا يكون إنساناً حقيقياً إلا بالتربية (٢٩).

وقد تحدث عدد من الباحثين(٣٠) عن أهمية التربية، يمكن إيضاحها في النقاط التالية:

١- **أهمية التربية للفرد.** فالإنسان يختلف عن سائر الكائنات الحيّة الأخرى، فهو بحاجة إلى مساعدة الآخرين بعد الله والاعتماد عليهم، وخاصة في مراحل نموه الأولى؛ أي بحاجة إلى الرعاية الوالدية، وإلى التنشئة الاجتماعية، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تعقد البيئة الإنسانية والمادية وتشعب عناصرها، الأمر الذي يجعل الحاجة للتربية أشد إلحاحاً.

٢- **أهمية التربية للمجتمع.** ويمكن تخليصها في النقاط التالية:

(أ) أهمية التربية في المحافظة على ثقافة المجتمع. فأساليب حياة المجتمعات، وأنماط تفكيرها، وكافة تراثها، لا تنتقل انتقالاً «بيولوجياً» كما تنتقل بعض الصفات الجسمانية، فعن طريق التربية يصبح كل وليد شخصية إنسانية ناضجة، وذلك عن طريق اندماجه في حياة الجماعة، واكتسابه ما يعرفه الكبار، وعن طريق تربية الناشئة يضمن المجتمع أساليب معيشته واستمرارها.

(ب) أهمية التربية في تبسيط التراث الثقافي للمجتمع. لم تتوقف أهمية التربية على المحافظة على التراث الثقافي ونقله، وإنما تسهم في تبسيطه . فالثقافة تراكمية؛ إي تزداد وتتراكم على مرّ العصور، وتشتمل على تطورات كثيرة في شتى المجالات، يصعب على المتعلم الإلمام بها، لولا إسهام التربية في تبسيطها.

(جـ) أهمية التربية في تطهير التراث الثقافي . التراث الثقافي عملية معقدة، ومتشابكة؛ بمعنى أن مكوناتها - مادية ومعنوية - يؤثر كل منها على الآخر، وتتفاعل كل عناصرها بعضها ببعض. فالمجتمع يعمل من خلال المؤسسات التربوية على تمحيص هذا التراث وتنقيته من العوامل والعناصر السلبية التي تعوق تقدمه، كما تلجأ المؤسسات التربوية إلى الأبحاث العلمية في كافة ميادين النشاط الإنساني لغرض التجديد والابتكار وكل ما يعزز ذلك التراث.

٣- أهمية التربية في بناء الدولة العصرية. إن قوة أي دولة لا تقاس بما تملكه من أدوات وأسلحة حربية، أو ثروات مادية، وإنما تقاس في الدرجة الأولى بما تملكه من قوة بشرية واعية مدرّبة، تكون مصدراً للإنتاج المتقن، وللابتكار والتجديد، وللتطوير والتغيير إلى الأفضل. وقد بيّنت تجارب الدول المعاصرة المتقدّمة أن من أهم الشروط اللازمة لإحداث تنمية شاملة، وجود قاعدة بشرية عريضة تمتلك حداً أدنى من التعليم. ولعل مثال الصين الشعبية يعدُّ برهاناً على الدور الذي لعبه التعليم في قوة الصين وتقدمه، وكذلك دور التعليم في نهضة اليابان ورقيه.